

# الاتجاه العرقي / القومي في دراسة الفتوحات الإسلامية عند المستشرقين

The Racial/National Trend in the Study of the Islamic Conquests  
among Orientalists

Dr. Sajida Abd Kadhim  
University of Kufa / Faculty of Arts  
Sajida.alhasaani@uokufa.edu.iq

أ.م.د. ساجدة عبد كاظم  
جامعة الكوفة / كلية الآداب  
قسم التاريخ / تاريخ اسلامي

تاريخ النشر: 2026/7/1 Received: 1/ 5 / 2026	تاريخ القبول: 2026/5/21 Accepted: 21 / 5 / 2026	تاريخ إستلام البحث: 2026/5/1 Published: 1 / 7 / 2026
--	--	---

على نظرية «الطبائع والاجناس» كمييار لتصنيف المجتمعات العربية والاسلامية ، ودراسة انماطها الفكرية والاخلاقية والسياسية والدينية على ضوء محددات وأطر هذه النظرية. ان طبيعة المقاربة المنهجية في مثل هذه الدراسة استندت على رؤية تحليلية نقدية حاولنا من خلالها كشف كثير من المغالطات والمآزق المنهجية التي وقع فيها قسم من المستشرقين في تبنيهم لنظرية الطبائع والاجناس كموجه اساسي في دراساتهم، كذلك حاولنا من خلال العمل بهذه الرؤية النقدية كشف كثير من التوجهات» المعارضة لهذه النظرية

## المستخلص

ومن خلال هذا المنظور يحاول هذا البحث التوقف عند احد اتجاهات الكتابة الاستشراقية اسميناه «الاتجاه العرقي / القومي» والذي وجدنا له حضوراً في قسم كبير من اسهامات المستشرقين بخصوص دراساتهم لمجتمعات الحضارات الاسلامية، ومن خلال تطبيقات هذا الاتجاه البحثية قد تم التوصل الى نتائج واحكام سلبية، بقيت موضع جدل ونقاش ليس عند الباحثين في المجال العربي والاسلامي فقط، بل في دوائر المستشرقين انفسهم، لان الاساس المنهجي الذي تبناه اصحاب هذا الاتجاه هو في استنادهم

this theory.

The methodological approach adopted in this study is grounded in a critical analytical perspective, through which we have sought to expose many of the fallacies and methodological impasses encountered by a number of Orientalists in their adoption of the theory of “natures and races” as a primary framework guiding their studies. Through this critical approach, we have also attempted to reveal various trends opposing this theory from within Orientalist circles themselves. Some among them have argued that adopting such a theory—and studying Eastern peoples and societies on its basis—serves to elevate and reinforce Western centrism, while simultaneously working to produce a distorted history of the “other,” one that aligns with the premises and colonial and cultural objectives of that Western centrality.

Keywords: Trend, Racial, National, Orientalists, Islamic Conquests

#### تمهيد:

لقد تباينت احكام المستشرقين، وطبيعة النتائج التي انتهوا اليها بدراساتهم للحضارات والمجتمعات الاسلامية القديمة منها والحديثة بتباين واختلاف المناهج التي تبناها في مقارنة قضايا وإشكاليات تلك الحضارات والمجتمعات، ولذلك نجد - وعلى اساس هذا التباين- داخل دائرة تاريخ الاستشراق رؤى واتجاهات متعددة لأنماط الكتابة والمعرفة التاريخية، مما

داخل دائرة المستشرقين انفسهم، والذين اعتبر قسم منهم ان تبني مثل هذه النظرية ودراسة الشعوب والمجتمعات الشرقية على اساسها هو للعلاء من شأن المركزية الغربية وتكريسها اتجاه الاخر من جل العمل على كتابة تاريخ مشوه له، ينسجم مع منطلقات هذه المركزية الغربية واهدافها الاستعمارية والثقافية. الكلمات المفتاحية: الاتجاه، العرقي، القومي، المستشرقين، الفتوحات الإسلامية.

#### Abstract

From this perspective, the present study seeks to examine one of the trends in Orientalist writing, which we have termed the “racial/national trend.” We have found that this trend is present in a significant portion of Orientalists’ contributions concerning their studies of the societies of Islamic civilizations. Through the research applications of this trend, negative conclusions and judgments have been reached—ones that have remained the subject of debate and discussion not only among scholars in the Arab and Islamic fields, but also within Orientalist circles themselves. This is because the methodological foundation adopted by proponents of this trend relies on the theory of “natures and races” as a criterion for classifying Arab and Islamic societies, and for studying their intellectual, moral, political, and religious patterns in light of the determinants and frameworks of

كانت فعلاً تعبر عن توجهات ومعطيات علمية عند توظيفها في حقل الدراسات التاريخية و الاجتماعية، ام هي كانت تعبر عن توجهات ايدلوجية؟.

ان طبيعة المقاربة المنهجية في مثل هذه الدراسة استندت على رؤية تحليلية نقدية حاولنا من خلالها كشف كثير من المغالطات والمأزق المنهجية التي وقع فيها قسم من المستشرقين في تبنيهم لنظرية الطبائع والاجناس كموجه اساسي في دراساتهم، كذلك حاولنا من خلال العمل بهذه الرؤية النقدية كشف كثير من التوجهات «المعارضة» لهذه النظرية داخل دائرة المستشرقين انفسهم، والذين اعتبر قسم منهم ان تبني مثل هذه النظرية ودراسة الشعوب والمجتمعات الشرقية على اساسها هو للعلاء من شأن المركزية الغربية وتكريسها اتجاه «الآخر» من اجل العمل على كتابة تاريخ مشوه له، ينسجم مع منطلقات هذه المركزية الغربية واهدافها الاستعمارية والثقافية .

اراء المستشرقين في دراسة الاتجاه العرقي / القومي

نعني بالاتجاه العرقي<sup>(1)</sup> / القومي في دراسة الفتوحات الاسلامية ذلك الاتجاه الذي بنى اطروحاته وفرضياته ومنطلقاته النظرية على وفق رؤية غربية لها أصول ومرجعيات في تاريخ هذا الفكر، بحيث

جعل لكل مدرسة استشرافية مميزاتها وخصائصها وسماتها التي تختلف بها عن غيرها .

ومن خلال هذا المنظور يحاول هذا البحث التوقف عند احد اتجاهات الكتابة الاستشرافية اسميناه «الاتجاه العرقي / القومي» والذي وجدنا له حضوراً في قسم كبير من اسهامات المستشرقين بخصوص دراساتهم لمجتمعات الحضارات الاسلامية، ومن خلال تطبيقات هذا الاتجاه البحثية قد تم التوصل الى نتائج واحكام سلبية، بقيت موضع جدل ونقاش ليس عند الباحثين في المجال العربي والاسلامي فقط، بل في دوائر المستشرقين انفسهم، لان الاساس المنهجي الذي تبناه اصحاب هذا الاتجاه هو في استنادهم على نظرية « الطبائع والاجناس» كمعيار لتصنيف المجتمعات العربية والاسلامية ، ودراسة انماطها الفكرية والاخلاقية والسياسية والدينية على ضوء محددات وأطر هذه النظرية.

وعلى هذا الاساس حاولت هذه الدراسة التوقف عند معرفة اصول هذه النظرية، ومراجعة اسسها، ومن ثم معرفة كيفية اشكال توظيفها في منهجية البحث التاريخي عند قسم من المستشرقين الذين تناولتهم هذه الدراسة كـ « نماذج» معبرة عن مضامين هذا الاتجاه، كذلك حاولت هذه الدراسة كشف حدود والصلاحية المنهجية لنظرية الطبائع والاجناس، وهل

أسست له هذه النزعة العرقية بقوة في كتاباتها، مدخلا لتقسيم تلك الشعوب والحضارات في ضمن ثنائيات حادة: شعوب متحضرة/ شعوب بدائية، حضارات متقدمة/ حضارات متخلفة، غدت في النهاية نزعة التمرکز عند الغرب مقابل الشعوب الاخرى ومن ضمنها الشعوب العربية والإسلامية.

ولقد كان هنالك قسم من المستشرقين قد تأثروا بالأصول والمرجعيات الفكرية لهذا التوجه العرقي/ القومي في دراسة للتاريخ<sup>(٦)</sup>، مما انعكس سلبا في دراستهم لحضارات ومجتمعات الشعوب الاسلامية، ومن ابرز المستشرقين الذين نتلمس بوضوح في دراستهم للتاريخ والحضارة الاسلامية بشكل عام اثار واضحة للاعلاء من النزعة العرقية في تحليل ودراسة اصول هذه الحضارة المستشرق الفرنسي ارنست رينان<sup>(٧)</sup> و يشلواسر وفلكر ورينيه شارل وغوبينو<sup>(٨)</sup> وشلنج.

ان من ابرز المستشرقين الذين يمثلون هذا الاتجاه في دراستهم للتاريخ الاسلامي بشكل عام، والفتوحات الاسلامية بشكل خاص هو المستشرق الفرنسي ارنست رينان<sup>(٩)</sup> والذي تتضح نظريته العرقية من خلال الاحكام التي اطلقها على الجنس العربي والذي وصفه بالدونية والانحطاط والتخلف، وهذا الامر ينسحب -برأيه- على الدين والحضارة الاسلامية فيقول بهذا الصدد

كان لها حضورها ومدارسها واتجاهاتها البحثية خاصة في منتصف القرن الثامن عشر الى بداية القرن التاسع عشر، والتي استندت - اي هذه الرؤية- على معطيات علم الانثروبولوجيا<sup>(١٠)</sup> الثقافية في دراسة تطور الامم والشعوب والمجتمعات البشرية، اي ان المنزع التاريخي لهذا الاتجاه تأسست فرضياته ومعطياته من خلال محاولة كشفه لخصائص الشعوب وطبائعها او ما يعرف بعلم "الاثولوجيا"، وكشف هذه الخصائص هو الذي يحدد معيار تطور تلك الشعوب على وفق أسس معيارية تفضي في النهاية الى المفاضلة بين الشعوب وتاريخها على اساس معيار الجنس الذي تنتمي اليه، بالمعنى العرقي لهذا الانتماء<sup>(١١)</sup>. ان الإعلاء لنزعة التفوق والامتياز العرقي، التي استمدت روافدها الفكرية من المدارس والاتجاهات التي ظهرت في تاريخ الفكر الغربي<sup>(١٢)</sup>، أصبحت من الأبعاد والسمات الواضحة التي تؤسس لخطاب المركزية الغربية، والذي كانت مظهراته واضحة في عدد من المجالات الفكرية، ومن ضمنها مجال الدراسات الاستشراقية، إذ ان تكريس هذه النزعة في منظور هذه الدراسات أفضى الى جعل الثقافات والحضارات البشرية غير متساوية القيمة<sup>(١٣)</sup>، ومن ثمّ ولد نوعا من عدم المساواة بين تاريخ هذه الشعوب، مما جعل من مبدأ عدم التكافؤ الذي

بأيدي المسيحيين كل الخلفاء العباسيين المعاصرين للأسرة الكارلنجية بفرنسا، ومنهم المنصور وهارون الرشيد والمأمون، وكانوا من المسلمين ضعيفي العقيدة وكانوا يتظاهرون بالدين لانهم زعماءه لكن تكفيرهم كان بعيدا عنه<sup>(١١)</sup>.

يُعدُّ برنارد لويس<sup>(١٢)</sup> من المستشرقين، الذين يمكن القول انهم ومن خلال كتاباتهم في تاريخ الحضارة الاسلامية، قد وقعوا ضمن اطر ومحددات الاتجاه العرقي/ القومي في تفسير كثير من وقائع واحداث هذا التاريخ، ففي تفسيره لمسألة الفتوحات الاسلامية يكاد يظهر هذا الامر واضحا، إذ انه من المستشرقين الذين لا يعطون للعامل الديني دوراً اساسياً في هذه الفتوحات، بل يجعله امراً ثانوياً، لأنه برأيه لم يؤثر في طبيعة وخصائص الشعوب العربية التي ظهر فيها، فيقول بهذا الصدد ” وبيالغ بعض الكتاب المتقدمين في تقدير الدور الذي قام به الدين في الفتوح، كما ان بعض الكتاب المعاصرين لا يقدرونه حق قدره، وتبدو اهميته في التفسير السايكولوجي الوقتي الذي احده في شعب طبع على سرعة التأثر، وحدة المزاج، ولم يعتد الرضوخ لأي نوع من انواع النظام، وعلى الرغم من ميله الى الاقتناع بالحجة، فإنه لم يكن يقبل ان يأمر، فولد فيهم الدين الى حين من الزمن، الثقة بالنفس، وأسلس قيادهم، وكان الدين اثناء

كل انسان يتمتع بالحد الادنى من الاطلاع على شؤون العصر يرى بوضوح الدونية الحالية للبلدان الاسلامية والانحطاط الذي يميز الدول الذي يحكمها الاسلام والبؤس الفكري للأعراق التي لا تقتبس ثقافتها وتعليمها الا من هذه الديانة، وكل الذين زاروا الشرق او افريقيا يصددهم الانغلاق الذي يميز كل عقل مؤمن صادق، حتى كان دماغه قد احيط بسوار معدني يمنع عنه العلوم ويحظر عليه التعلم ويدراً به ان يفتح على فكرة جديدة<sup>(١٣)</sup>.

ان نظرة ارنست رينان السلبية للجنس العربي جعلته يتنكر لأي دور حضاري وثقافي له، فحتى الروح العربية الاسلامية الجديدة، التي كانت من السمات التي ميزت طبيعة التعايش والاختلاط مع بلاد الشعوب المحررة خصوصا بعد توسع الدولة العربية الاسلامية بعد الفتوحات، فأن رينان ينكرها ويرجع انبعاث تلك الروح الى الدور الذي لعبته اقوام اخرى كالفرس على مسرح الاحداث خصوصا في الاطوار الاولى من العصر العباسي، فيقول ”لقد قامت عاصمة لهذه الحضارة الفارسية المنبعثة من جديد، لم يكن ممكنا تجنب استعمال لغة الفاتحين اي اللغة العربية، و لا رفض الدين الجديد رفضا صريحا، لكن روح هذه الحضارة الجديدة روحا مختلطة، وقد تغلب الفرس والمسيحيون وكانت المناصب الادارية، والشرطة خاصة،

المتأصلة عند العربي "البدوي" من حبه للغزو والسيطرة والتوسع، امر فيه نوع من التبسيط لحقيقة وابعاد الفتوحات الاسلامية، وهو امر كذلك يجافي الواقع التاريخي، فالفتوحات العربية تعدّ من الحوادث الكبرى في التاريخ العالمي، فقد يغرينا القول ان الاسلام ربما كان ليبقى من دون الفتح ديناً ثانوياً محصوراً في نطاق الجزيرة العربية<sup>(١٥)</sup>، هذا الامر يعني ان ابا بكر عندما استهل عمل الفتح كان واعياً انه انما يواصل الانجاز النبوي ويجسد نوايا النبي ومقاصده، ومن المرجح انه كان يعدّ هذا الحل ضرورياً لمستقبل العرب ولبقاء الامة<sup>(١٦)</sup>.

اما من ناحية ما ذهب اليه برنارد لويس من اعتباره للفتوحات انتصاراً لمشروع الدولة العربية في التوسع خارج أراضيها، وليس انتصاراً للأثر العقائدي للدين الاسلامي - وهو بهذا المعنى يحاول الفصل ما بين العروبة والاسلام - فيمكن القول بأن الفتوحات الاسلامية لم تكن حدثاً عارضاً في مسار التاريخ العربي الاسلامي، اوجدته منطلقات ومقدمات دينية "قرآنية" وعوامل داخلية فقط، بل انه شكل تحولا نوعياً في مسار الدين الاسلامي نفسه، فلو ظل الاسلام عربياً، لبقى ديناً قومياً خاصاً وحصرياً، لكن الفتوحات العربية ادت الى نشره عالمياً، بالجهاد في سبيل الله وبالاجتهاد الفكري وبذل النفس

حروب الفتح رمز الوحدة العربية والنصر، وكانت القوة الدافعة في الفتوح دينوية اكثر منها دينية، وتتضح هذه الحقيقة عند دراسة شخصيات بارزة بينها رجال من طراز خالد، ذلك اننا نجدهم نفعيين لا يولون الدين الا اهتماماً شكلياً<sup>(١٣)</sup>.

واذا كان لويس من خلال هذا النص، حاول ان يستند إلى مجموعة من الخصائص والصفات ذات المنزع العرقي مثل "سرعة تأثر العربي، مزاجه الحاد، فوضويته وعدم احتزاه للنظام... الخ" والتي برايه - اي هذه الخصائص - كانت عائقاً سيكولوجياً عن إيمان العرب بالدين الجديد، فإنه حاول ايضا طمس آثار الهوية الاسلامية لهذه الفتوحات، وعدّها انتصاراً للقومية العربية وليس للإسلام بوصفه ديناً فيقول "وكانت الفتوحات العظيمة في الاساس توسعاً لا للإسلام، بل للامة العربية التي دفعها ازدحام السكان في موطنها الأصلي، الى ان تبحث عن مخرج في البلاد المجاورة، وهي -اي الفتوحات- واحدة من سلسلة الهجرات التي حملت الساميين مرة اخرى الى الهلال الخصيب وما وراءه"<sup>(١٤)</sup>.

ان محاولة تغييب برنارد لويس للعامل الديني في دراسته لفتوحات الاسلامية، واختزال أثره وجعله أمراً ثانوياً بجعل الدافع الاساسي لتلك الفتوحات هو محاولة العرب التوسع والسيطرة خارج أراضيهم نتيجة لمجموعة من الطبائع

ولقد بقي برنارد لويس حتى في كتاباته المتأخرة، يعيد إنتاج وتكريس نفس فرضياته وأطروحاته السابقة عن تاريخ الاسلام بشكل عام، وتفسيره للفتوحات بشكل خاص، فالفتوحات بقيت بالنسبة له عبارة عن احتلال وغزو لشعوب لم يكن لها خيار غير الاكراه على الدخول في الدين الجديد فيقول " جاء المحتلون المسلمون العرب الذين سيطروا على الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا بدينهم الخاص بهم كتابهم الخاص بهم، ولغتهم الخاصة بهم، وأقاموا حكمهم الخاص بهم، وبمجموعة من القوانين الجديدة، ولغة فخمة جديدة، وبنية فخمة جديدة، سلطتها العليا الخليفة، عرفت هذه الحكومة والدولة بالاسلام، ولا عضوية تامة للفرد في هذه الدولة، الا اذا أشهر أيمانه بالديانة السائدة" (٢٠).

ومن المستشرقين الذين تتضح في كتاباتهم محددات واصل هذا الاتجاه، من حيث طبيعة تفسيرهم لمسألة الفتوحات الاسلامية سواء من ناحية الدوافع او الأسباب؛ المستشرق البريطاني جون باجوت غلوب، وان اختيارنا له نموذجاً يعبر عن هذا الاتجاه، نابع من طبيعة المقدمات والفرضيات التي أسس عليها فهمه وتفسيره للفتوحات الاسلامية كانت واقعة في الاسس الفكرية لهذا الاتجاه، وبمعنى ادق كانت نظرتة للنبي محمد ﷺ، وللعرب الذين

والمال اعطت للإسلام العربي بعداً عالمياً، لا مجال لتوطيده من دون حماية تماهي الهوية العربية بالهويات الجماعية الاخرى، ومن دون تفاعل تراثهم القومي مع تراث الأقوام وثقافتهم المختلفة، في أفق انتاج حضارة اسلامية عالمية، اي انسانية بلا تمايز في الفضائل والمآثر، تكون عربية حين يكون العرب روادها، وتكون فارسية عثمانية او تركية حين يكون الفرس و الترك وسواهم هم المحرك المركزي للمداد الحضاري العربي والاسلامي (١٧).

هذا الامر يعني ان الفتوحات، منذ ان بدأت بواكيرها الاولى في عصر الخلافة الراشدة كانت في أسسها و مقاصدها العميقة التي حملتها بمثابة مشروع للحفاظ على هوية اسلامية عربية جامعة، تكون ضامنة وموحدة لفعل استمرارية العرب وتطورهم عبر التاريخ، فالفتح العربي الذي اوجده وقرره ابو بكر، واصله وعمقه عمر (١٣-٥٢٣ / ٦٣٤-٦٤٤م) الذي ربط بين الفتح والتوطن، وهو الذي وطن العرب في الاراضي المفتوحة وانشأ النظام الناجم عن الفتح، والذي ستعيش عليه الخلافة لأكثر من قرنين، كانت الفكرة الاساسية والملهمة لمشروع عمر هي ان من واجب العرب الحفاظ على هويتهم (١٨)، فبهذا المعنى يصبح انه ما من شيء وحد العرب كالفتح، وما من شيء اثر فيهم اكثر مما اثر الفتح لتحبيبهم بالاسلام (١٩).

تتشهاها الانفس والاعين وما فيها من حور عين عذارى اباكار في منتهى الجمال وفي شباب دائم، كان مغريا للبداءة الحفاة، العراة والجفاة، الذين ألفوا شظف العيش والذين كانت حياتهم صراعا لا ينتهي مع الطبيعة وما فيها من مشاق لا تطاق<sup>(٢٢)</sup>. وهكذا نرى من خلال النصوص السابقة، كيف ان المستشرق غلوب، وبعد ان اسقط من حساباته الدوافع الدينية والعقائدية كحافز للفتوحات الاسلامية، عن طريق اختزاله لمفهوم الجهاد في سبيل الله على انه وسيلة للخلاص من الواقع الذي يعيشه العربي البدوي وانه نوع من التعويض عن الحرمان الذي يعانيه ولاسيما في صورته الحسية، وكذلك محاولة غلوب التجريح والتشهير والتهكم بشخصية النبي محمد ﷺ عن طريق نزع صفات القيادة والمعرفة العسكرية بالحروب... لم يبق امامه من خيار غير ارجاع تلك الفتوحات الاسلامية من ناحية دوافعها واسبابها غير الاتكاء على تفسير عرقي/ قومي يستند في اصله على طبيعة العربي نفسه والذي من منظوره مجبول بطبيعته على حب الغزو وسفك الدماء، وهذه الروح القتالية بنظره كانت طبيعة متأصلة في تكوينه فلما جاء الاسلام اعاد توظيفها والاستفادة منها، فأعطاهم برأيه شرعية دينية للحفاظ عليها، بالشكل الذي يخدم مشروع الفتوحات الاسلامية، ولذلك ينتهي غلوب الى القول

احتضنوا دعوته، وكان المحرك والحاضنة الاساسية للفتوحات نظرة عرقية/ دونية، فالنبي محمد ﷺ من منظور غلوب ” لم يكن في الحقيقة قائدا عسكريا ذا مواهب عسكرية بالغة، ولم يكن يشترك بنفسه بالمعارك بل يظل بالصفوف الخلفية لا يشترك بالقتال اشتراكا فعليا... ومن الصحيح انه استعمل وسائل الاغتيال والقتل ورتب حوادثها، ولكنه تمكن في الغالب من التأثير تأثيرا مطلقا على أتباعه الاكثر ميلا منه الى سفك الدماء“<sup>(٢١)</sup>.

اما من ناحية العرب الذين امنوا بالجانب العقائدي للفتوحات الاسلامية، من حيث انها الطريق الموصل الى نيل الشهادة، فإن تصوير غلوب لهذا المعنى فيه كثير من السخرية والتهكم، فالشهادة بنظره كانت نوعا من الأغراء عبرت عنه تعاليم الدين الجديد، غايته إعطاء الحافز والدافع للاشتراك في هذه الفتوحات، وان العرب برأيه وجدوا في الشهادة نوعا من التعويض الحسي الذي شكل برأيه بديلاً عن الواقع الحياتي الصعب الذي كانوا يعيشونه في جزيرة العرب، فيقول غلوب بهذا الصدد ” وكان اقوى حافز دفع العرب الى فتوحاتهم العظيمة وعد الله لهم، بأن كل من يستشهد في الحرب ضد الكفرة يروح الى فراديس النعيم فورا، يضاف الى هذا ان الوصف المسهب للجنة بما فيها من جداول وانهار، وماء عذب سلسيل وثمار

ذاتية، تعبر عن الغلو والتطرف والغاء الآخر كما نجد ابعادها عند اصحاب هذا الاتجاه، وانما سيكون دحض تلك الفرضيات والاطروحات من خلال نقض للمسلمات والاسس والبديهيات التي قامت عليها، وذلك من منظور علمي/ منهجي من دوائر المستشرقين انفسهم لاسيما من الذين تبنا مقولات العرق والطبائع والدافع القومي واثريهما في تشكيل السمات والخصائص الحضارية لشعب او امة ما، والذين كان من ابرزهم في هذا المجال المستشرق غوستاف لوبون، الذي وان كانت منهجيته في دراسة تاريخ الحضارات بشكل عام، وتاريخ العرب والمسلمين بشكل خاص، اعتمدت على توظيف مقولات العرق والطبائع والخصائص النفسية وكيفية تأثيرها في صنع الاحداث والوقائع التاريخية وتفسيرها، الا ان النتائج التي انتهى اليها في دراساته، جاءت مغايرة تماما عن تلك التي انتهى اليها، من سبقه من مستشرقين الذين درسوا تاريخ العرب والاسلام في ضوء هذه المحددات.

يبدأ غوستاف لوبون بتحديد مفهوم العرق واختلافه عن مفهوم الامة، في دراسة المجتمعات البشرية بقوله ” ويرى الذين لم يدرسوا علم اوصاف الانسان ان الامة والعرق كلمتان مترادفتان تقريبا، مع ان لهما معاني مختلفة تماما، فالأمة

بشكل قاطع ” وهكذا كانت الروح القتالية المحاربة عند العرب، التي وجدت نفسها الان اسيرة لأوامر الدين التي تحظر على المسلمين قتال بعضهم البعض، والتي وجدت السلطة الكافية المطلقة لإنقاذها هي العامل الاول في التوسع الاسلامي اما العامل الثاني فكان مجرد صدفة عارضة حقاً“<sup>(٢٣)</sup>.

ولكيلا يكون الرد على هذه التفسيرات لمسالة الفتوحات الاسلامية، والتي وان اختلفت مقدماتها المنهجية من مستشرق لآخر ينتمون الى نفس هذا الاتجاه، سواء من ناحية التحليل وزاوية النظر للموضوع، الا انها تبقى -اي هذه التفسيرات- في اصولها النظرية العامة واقعة في ضمن مجموعة اطروحات اساسية تشتغل عليها، تكاد تشكل - اي هذه الاطروحات- عاملا مشتركا فيما بينها، بغض النظر عن الصياغة وطريقة المعالجة التي وردت بها. وهذه الاطروحات من اهمها ان تلك الفتوحات الاسلامية لم تقم عند اصحاب هذا الاتجاه على الدعوة والايان بالدين الجديد، وانما قامت بالسيف واخضاع الشعوب بالقوة، وانها في مضمونها تعبر عن هجوم لبرابرة على امم متحضرة... وغيرها من الحجج والمزاعم، ولذلك سيكون دحضها والرد عليها، ليس نابعا من فرضيات وتصورات مسبقة غير مدروسة، او عن طريق اسقاطات

السنين، ويحتمل ان تبقى هكذا الى الابد، وهم مقسمون كما مواشيهم ما عليها من الكلاً، واما اهل الحضرة من العرب فهم على عكس ذلك يتغيرون بتغير الاماكن والشعوب التي يخالطونها»<sup>(٢٥)</sup>.

هذا الامر يعني عند غوستاف لوبون " ان تقسيم العرب الى اهل حضر وأهل بدو يطابق ما في الرواية - يقصد الرواية التاريخية العربية - التي قالت بتقسيمهم الى ثلاثة عروق، العرق الذي باد وعُفي أثره قبل الاسلام، والعرق المؤلف من أبناء قحطان الذين استقروا ببلاد اليمن والذين هم اقحاح العرب، والعرق المؤلف من ذرية اسماعيل"<sup>(٢٦)</sup>.

وينتهي غوستاف لوبون الى وصفه للاعراب "البدو" وهم الذين نهضوا لاحقا بأعباء الفتوحات الاسلامية وكانوا قوتها الرئيسية الضاربة- وهو في وصفه لهم يخالف كثيرا من اراء المستشرقين الذين تبنا هذا الاتجاه من ناحية المزايا والصفات الايجابية التي يطلقها عليهم فيقول " ان الاعراب من سكان جزيرة العرب وسوريه وافريقية، يحبون الحرية حبا جما لا يقدر الاوربي ان يتصوره، وهم يزدرون ابناء المدن ويعدونهم من الارقاء، لذلك يتضمن الارتباط بالأرض عندهم معنى توديع الحرية والخضوع لسيد، ويرى الاعراب الذين لا يملكون سوى حريتهم ان هذه الحرية اغلى شيء، وقد حافظوا عليها

هي جماعة من الناس الذين ينتسبون في الغالب الى عروق كثيرة جمع بينهما نظام حكم واحد ومصالح واحدة، فاذا صح ما ندعوه الان بالأمة الانكليزية او الامة الالمانية او الامة النمساوية او الامة الفرنسية مثلا، لم يبقَ ما تصح تسميته بالعرق الانكليزي او العرق الالمني او العرق النمساوي او العرق الفرنسي، فكل امة من هذه الامم هي من تباين المحائد والاصول ونقص الادغام ما لا يجوز ان نطلق عليها كلمة العرق، اجل من الجائز ان تنظوي جماعات بشرية كثيرة الى قوانين واحدة، وان تدين هذه الجماعات بديانة واحدة، وان تتكلم لغة واحدة، ولكنه لا يتألف من عرق متجانس، الا بعد ان تستقر فيها اخلاق واحدة وصفات جثمانية واحدة بفعل البيئة والتوالد والوراثة"<sup>(٢٤)</sup>.

والعرب بالنسبة الى غوستاف لوبون، لا يخرجون من ناحية دراستهم على اساس العرق من هذا المنظور الذي وضعه لذلك يقول " ان الفارق الاساسي الوحيد بين العرب، هو ما أيدهم تقاليدهم وطرق معاشهم، وهو تقسيمهم الى اهل حضر واهل بدو، ويجب ان لا يغيب هذا التقسيم الجوهرى عن البال حين البحث في تاريخهم، فأما اهل البدو وهم الاعراب الموزعون فيما بين المحيط الاطلنطي وخليج فارس، فلهم طرق معاش وعادات وطبائع لا تزال كما كانت عليه منذ الاف

الا بالتدريج، ولا تبلغ درجة التطور العالية التي تبدو للعيان الا بعد الصمود في درجات اخرى<sup>(٢٨)</sup>.

ان المنظور العرقي في دراسة تاريخ العرب عند غوستاف لوبون، اوصله بالنتيجة الى فهم موضوعي، من ناحية كشفه للصفات والخصائص والطبائع والمزايا التي يحملها العربي في تكوينه، ومن ثمّ قاده هذا الامر الى وضع تفسير للفتوحات الاسلامية، لا يتعارض مع منظوره السابق لتكوين العرب واصولهم التاريخية، ولذلك يؤكد غوستاف لوبون، وانسجاما مع رؤيته السابقة بان " للفتوح العربية طابعاً خاصاً لا تجد مثله لدى الفاتحين الذين جاءوا بعد العرب، وبيان ذلك ان البرابرة الذين استولوا على العالم الروماني والترك وغيرهم، وان استطاعوا ان يقيموا دولا عظيمة، لم يؤسسوا حضارة، وكانت غاية جهودهم ان يستفيدوا بمشقة من حضارة الامم التي قهروها، وعكس ذلك امر العرب الذين انشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها، والذين تمكنوا من اجتذاب امم كثيرة الى دينهم ولغتهم فضلا عن حضارتهم الجديدة"<sup>(٢٩)</sup>.

وهو كذلك يؤكد ان نجاح تلك الفتوحات كان العامل الاساسي فيها هو الدين الاسلامي لما تمتع به من خصائص وسمات، جعلته يختلف عن غيره من الاديان التي كانت

بتوالي الاجيال، ولم يقدر جميع الفاتحين من الاغريق والرومان والفرس وغيرهم من الامم التي دوخت العالم ان يعبدوهم، وكل قهر للأعراب لا محال زائل"<sup>(٣٧)</sup>.

وغوستاف لوبون، -فضلاً عن كل ذلك- يفتد اطروحات كثير من المستشرقين، ومنهم ارنست رينان، الذي ذهب من خلال آرائه الى ان العرب لا يمتلكون سواء من ناحية الاصول او الارث الثقافي والفكري - لاسيما في مرحلة ما قبل الدعوة الاسلامية- ما يؤهلهم لان تكون لديهم القابليات العقلية على انتاج حضارة لها تاريخ، كما حصل مثلاً عند اليونانيين فيقول في رده على هذه المزاعم " والى مثل هذا الرأي ذهب بعض الاذكياء المعاصرين، ومنهم مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهير رينان الذي قال لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم السياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الذي صار به العرب امة فاتحة مبدعة، ولم يكن لجزيرة العرب شأن في القرون الاولى من الميلاد، حين كانت غارقة في دياجير ما قبل التاريخ، ولم يظهر بأسها وبسالتها الا بعد القرن السادس من الميلاد، وعندنا ان هذا الراي فاسد اول وهلة، ولم نعلم شيئاً عن ماضي العرب، فإن امكن ظهور حضارة امة ولغتها بغتة، على مسرح التاريخ، لا يكون هذا الا نتيجة نضج بطيء، فلا يتم تطور الاشخاص والامم والنظم والمعتقدات

لا يحرقون ولا ينهبون المدن المفتوحة، والحالة الاستثنائية الوحيدة التي تستحق الذكر، هي قصور الساسانيين التي كانت تحتوي على كنوز الذهب، ومن ثمَّ فإن الفتوحات الإسلامية لم يرافقها اضطراب في الحياة المدنية، وقد كانت الشعوب المغلوبة توفر بطريقة طبيعية الاطارات الإدارية والطاقات الذهنية، وكذلك لعب المسيحيون واليهود والفرس الذين اعتنقوا الدين الاسلامي، او الموالي كما كانوا يسمون دورا حاسما في اقامة دعائم هذه الحضارة التركيبية، الحضارة الاسلامية<sup>(٣١)</sup>.

وفي تأكيد لهذا الرأي ايضا ذهب المستشرق الامريكي لوثرروب ستودارد الى القول ان العرب لم يكونوا قط امة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك، امة موهوبة جليلة الاخلاق والسجايا، تواقفة الى اكتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب تلك النعم التي انتهت اليها من الحضارات السالفة، واذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج ووحدة المعتقد، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعا، وعن هذا الاختلاط، نشأت حضارة جديدة، الحضارة العربية وهي جماع متجدد التهذيب اليوناني والروماني والفارسي، ذلك الجماع الذي نفخ فيه العرب روحا جديدة، فنظر وازهر، وألفوا بين عناصره ومواده بالعبقرية العربية والروح الاسلامية، فاتحد

سائدة قبله، فيقول " وساعد وضوح الاسلام البالغ وما امر به من العدل والاحسان كل المساعدة على انتشاره بالعالم، وتفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى ايام حكم قياصرة القسطنطينية، فاصبحوا مسلمين حين عرفوا اصول الاسلام، كما تفسر السبب في عدم تنصر اي امة بعد ان رضيت بالإسلام ديناً، سواء كانت هذه الامة غالبية ام مغلوبة"<sup>(٣٢)</sup>.

ان ردود المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، والتي عرضنا مضامينها وابعادها سابقا، جاءت في سياق هدم الاسس والمبادئ والمقولات، التي بنى عليها اصحاب الاتجاه العرقي / القومي في رؤيتهم للحضارة الاسلامية بشكل عام، وتفسيرهم للفتوحات الاسلامية بشكل خاص، اما من ناحية دعوة انتشار الفتوحات الاسلامية بمنظور اصحاب هذا الاتجاه بالسيف، نتيجة للطبيعة التي يحملها العربي في تكوينه من جهة نزوعه الدائم -حسب رأيهم- لسفك الدماء والغزو والتدمير، فنجد ان المستشرق الفرنسي موريس لومبار، وهو من كبار المستشرقين بالمدرسة الفرنسية، وله اسهامات قيمة في مجال دراسة الفتوحات الاسلامية تحديدا، يقول في معرض رده على هذه التهمة ان الفتوحات الاسلامية لم ينجم عنها شيء من التخريب والتدمير، فان الفاتحين المسلمين

ولاستفادة منهم في دفعهم لشن الحروب والتي اصبحت بنظرهم تسمى بالفتوحات الاسلامية.

ومن الخصائص المنهجية التي ميزت كتابات قسم من المستشرقين، الذين ينظرون تحت هذا الاتجاه هو وقوعهم في تصنيفات ثنائية حادة، لاسيما في سياق دراستهم للخصائص والسمات التي يتميز بها العربي، والتي بمجموعها العام تعبر -من وجهة نظرهم عن روح الحضارة العربية، فالعربي على وفق هذه التصنيفات يبقى مقترنا بصفات ثابتة لا تتغير كالبلادة، والشهوة، والعنف، والغلظة والشدة، وغياب التفكير، والنهم والجشع... الخ، ومن هذه الخصائص وعن طريقها بدأوا بتفسير التحولات التاريخية التي مر بها التاريخ العربي والاسلامي، وهما انهم -اي المستشرقين- جازمين بأن العربي في طبيعته دائماً منفعلا وليس فاعلا في الاحداث التي تجري من حوله، فحاولوا في هذه الحالة اختزال اي حدث مهم عاشه العرب وعزله عن العوامل الذاتية والموضوعية التي أسهمت في صنعه، ليتحول الى مظهر من مظاهر التعبير عن النوازع والخصائص والصفات التي يحملها العربي في تكوينه، ولذلك عندما حاول اصحاب هذا الاتجاه تكوين رؤيا تفسيرية لحدث مهم كالفتوحات، فأنهم غيبوا كثيرا من العوامل والحقائق التاريخية،

وتماسك بعضه ببعض، فاشرق وعلا علواً كبيراً<sup>(٣٣)</sup>.

ان من المؤاخذات المنهجية التي يمكن رصدها عند اصحاب الاتجاه القومي/العربي من المستشرقين هو انهم استندوا في دراستهم للتاريخ الاسلامي بشكل عام، وتاريخ الفتوحات الاسلامية بشكل خاص على توظيف واستثمار معطيات المنهج الانثروبولوجي والاثنولوجي في تفسيرهم لمسارات وتحولات هذا التاريخ، وحيث ان طبيعة الاشتغال على مثل هذه المناهج تفرض على الباحث ان يكون فقط رؤية وصفية وليست معيارية، الا ان قسما من المستشرقين لم يراعوا حتى محددات استخدام هذا المنهج فاثروا ان يطلقوا احكاما قيمية على المادة المدروسة -وهي التاريخ الاسلامي- والتي من المفترض ان يكون الباحث متسلح بهذه المناهج ان يبقى على مسافة محايدة منها، فأضحت تلك الاحكام مرجعيات عمل يؤسس من خلالها المستشرق ابعاد رؤيته للتاريخ الاسلامي، وعلى هذا الاساس وانسجاما مع تلك الاحكام المعيارية اصبح الجنس العربي عند اصحاب هذا الاتجاه يحمل بتكوينه الفطري نزعة سفك الدماء والغزو، فاصبح العرب من منظور المستشرقين ذوي الرؤية الانثروبولوجية اقواما بربرية متوحشة، لم يأتي الاسلام ليغيرهم بل ليوظف نزعة الغزو فيهم تحت غطاء شرعي "ديني"

ليست صفات سيكولوجية قابلة للتغير والتحول، وإنما هي بنظرهم أصبحت حتميات تاريخية تكون بمثابة القوانين التي عن طريقها نفسر تحولات واحداث التاريخ العربي والاسلامي، وثانيهما: ان نظرية الاعراق والطبائع هي بحد ذاتها نظريات لا ترتقي لان تكون رؤيا تفسيرية للتاريخ، لأنها تلغي العلاقات السببية بين الاحداث، وتؤمن بخصائص ثابتة وجوهريّة هي في التحليل الاخر مجرد تجريدات ذهنية غير واقعية، لكن المفارقة ان قسماً من المستشرقين من اصحاب هذا الاتجاه يتعاملون مع هذه التصورات الذهنية التجريدية وكأنها تمثل حقائق تاريخية.

وبدلاً من التعامل الموضوعي مع اسباب ونتائج هذا الحدث وتداعياته في العالم الاسلامي في ذلك العصر، فإنهم سكتوا عن كل هذه الاشكاليات المنهجية التي يثيرها عادة البحث التاريخي عن حدث كهذا، وقفزوا في تحليلاتهم وتفسيراتهم الى مقدمات لا تنتمي الى طبيعة الحدث نفسه، فانتهوا الى تفسير تبسيطي اختزالي مبني على مقدمات سيكولوجية/ نفسية وليست اسباباً تاريخية، وقد اعطوا تلك المقدمات صفة الثبات وعدم التحول، فأصبح تفسيرهم للفتوحات وبناءً على هذه النظرة هو انها امتداد لنزعة الغزو وحب النهب والسلب المتأصلين في تكوين العربي نفسه منذ فترة الجاهلية، وما فعله الدين الاسلامي-بنظرهم- هو توظيف لهذه النزعات والغرائز عن طريق رفع شعار الجهاد في سبيل تحقيق نزعة توسعية<sup>(٣٣)</sup> تحاول السيطرة على الاخر ونزع هويته الثقافية والدينية.

ان هذا الامر يعني ان احد اهم الاشكاليات المنهجية التي وقع فيها اصحاب هذا الاتجاه من المستشرقين هو اولاً: تبنيهم لنظريات الطبائع والاعراق والاممات والنماذج البشرية، وجعلها مقولات لا تعبر عن الجانب السلوكي عند العربي، بل هي ترتفع الى مستوى الحاكم والموجه لفعله في التاريخ، وهذا الامر جعل من خصائص العربي وطبائعه وميوله ورغباته

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت-٢٠١٢،  
العدد ٣٩٣، ص ١٢٣-١٨٤.

٤- يرجع جاك غودي، وهو احد اشهر الباحثين في مجال اثنولوجيا الاجتماعية في العصر الحديث، نزعة التمركز العرقي/ القومي في الغرب لاسيما اتجاه الحضارات الشرقية، الى ان جذورها ممتدة في الروافد القديمة التي شكلت بناء العقل الغربي، فهو يرى ان هذه النزعة ليست نزعة نرجسية مرضية دفاعية فقط، بل هي احد اسباب ازمة العلاقة بين الشرق والغرب، فيقول في هذا السياق « ان هذا المفهوم الذي يقول ان الاوروبيين يمثلون نظاماً يكاد يكون مختلفاً للكائنات، لم يكن مجرد نزعة للتمركز العرقي على الذات، ولا محصلة لنرجسية دفاعية، لقد جاء مستنداً الى منجزات =عصر النهضة الاوروبية والثورة العلمية ومرحلة التنوير، ومن ثم جاء التجديد على المعرفة وعلى العقل، وكذلك على القوة والتجارة، ولكن فيما كانت تلك المنجزات حديثة العهد، فقد كانوا يعيدون بجذورها الى عصور سبقت تكمن في عمق هيكل الثقافة، وفي التراث الذي تنهى من الاغريق او الجرمان، وفي الانعم التي جاء بها الله عز وجل واضفاها على شعب مختار، ثم الى مقدم الديانة المسيحية، وبعبارة اخرى كانت ثمة ميزة محددة تاريخياً ومنتشرة الى حيث طال امدها واستدام اجلها الى درجة وصلت لحد التفوق البيولوجي، فضلاً عن ذلك فالأسس المحددة في التفوق لم تكن موضع تدبر وتفكير عميق، ومن ثم فان المؤرخين الغربيين كثيرا ما اساءوا فهم العلاقة بين الشرق والغرب...» للاستزادة، ينظر: غودي، جاك، الشرق في الغرب، ترجمة محمد الخولي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، لبنان-٢٠٠٨، ص ١٢-٢٧.

## ثبت الهوامش

١- بالنسبة لمفهوم العرق، كما يقول انتوني غدنز يمثل «واحد من اكثر المفاهيم تعقيدا في علم الاجتماع نظرا للتناقض بين استخداماته للحياة اليومية من جهة، وغياب الاسس العلمية الموضوعية لمعانيه ودلالاته، ان كثيرا من الناس يجانبون الصواب في ايماننا هذه عندما يميلون الى تصنيف البشر على اساس انتمائهم الى اعراق مختلفة بفعل العوامل البيولوجية، وليس من الغريب حدوث هذه المغالطة، لان العلماء والباحثين قاموا بعدد كبير من المحاولات لتصنيف شعوب العالم الى فئات مختلفة، وقام عدد من الدارسين بالتمييز بين الناس بوضعهم في اربع او خمس فئات، في حين استحدث علماء اخرون ما يزيد عن ثلاثين فئة». غدنز، انتوني، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، لبنان، ص ٣١١.

٢- يعرف وجيه كوثراني المنهج الانثروبولوجي - وهو تعريف قريب بدلالاته من سياق ما سنذكره حول اعتماد اصحاب هذا الاتجاه عليه - فيقول «هو المنهج الذي يذهب الى القول بثوابت الحضارات والثقافات وخصوصياتها المغلقة عن كل تأثر وتأثير وتبدل، والذي انتج بإسهاماته خطاب فرادة الحضارة الغربية وتفوقها على كافة الحضارات...». كوثراني، وجيه، هويات فائضة مواطنة منقوصة، دار الطليعة، لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٥٥.

٣- لدراسة تأثير الدافع العرقي والقومي في دراسة تاريخ الحضارات والشعوب، وبشكل موسع ينظر: اركسن، توماس هايلاند، العرقية والقومية» وجهات نظر اثنولوجية، عالم المعرفة، المجلس

خصائصها = الذاتية « او روح الحضارة » قد تأثر به قسم من الباحثين العرب، وهو في حقيقته توجه استشراقي بامتياز، وينتمي بأصوله الى الاتجاه العرقي / القومي في دراسة التاريخ حيث يذهب عبد الرحمن بدوي - وهو من المتأثرين بأبعاد هذا الاتجاه في تشخيصه لخصائص الحضارة العربية الاسلامية الى انها تتمثل برئيه بمجموعة خصائص من اهمها: التفرقة بين النفس والروح، وانكار الجانب الذاتي، وسيادة الارادة والعاطفة عن النزعة العقلية... وفي سياق اثباته لأحدى هذه الخصائص استدعى حدث الفتوحات الاسلامية كمصداق على صحة تحليله، خصوصاً فيما يتعلق بنزعة تأرجح العرب بين الارادة والعاطفة، فيقول في هذا السياق « اما السياسة فقد برز العرب في ميدانها العملي لا النظري اعظم تبريز، وذلك لان السياسة العملية بمعنى الغزو والفتوح هي الميدان الحقيقي لنشاط الارادة، ومنها نستطيع ان نفسر الى حد كبير هذه السرعة الفائقة التي تمت بها الفتوحات العربية، فهي لا تفسر الا بهذه الارادة الجامعة القوية، اجل كان نشر الدين عاملاً مهماً من بين العوامل التي انتجت هذه السرعة، ولكن نصيب الارادة العربية كان اكبر من نصيب الدعوة الدينية، فأن عمر بن العاص او خالد بن الوليد هو الذي فتح ما فتح من الممالك، لا عبد الله بن عمر وامثاله من المتدينين المؤمنين فحسب، كما ان الطريقة التي سار عليها هذا الفتح تدل على ما في هذه الارادة من عدم توجيه من ناحية العقل، لان غزو الممالك لم يأتي عن خطة مرتبة نفذت اجزائها الواحد بعد الاخر بطريقة منطقية، وانما اندفع الغزاة نحو الشرق والشمال والجنوب دفعةً واحدة كالسيل الجارف. » بدوي،

٥- من الذين نقدوا وبشده، وبشكل علمي نظرية العرق في التاريخ كلود ليفي شتراوس، حيث ذهب في تحليلاته في هذا المجال الى القول « ان هذا الموقف الفكري الذي نرمي باسمه المتوحشين - او كل الذين نختار اعتبارهم كذلك - خارج الإنسانية، هو تماماً الموقف الأبرز والأكثر تميزاً لهؤلاء المتوحشين انفسهم، وبالفعل نحن نعلم ان فكرة الانسانية التي تشمل دون تمييز في العرق او الحضارة، كل اشكال النوع البشري، لم تظهر سوى متأخرة جداً ولم تعرف سوى انتشاراً محدوداً، وحيث يبدو انها وصلت الى اعلى درجات تطورها، ليس مؤكداً على الاطلاق - والتاريخ القريب يثبت ذلك - انها ترسخت بمنأى عن الالتباس والتقهقر، ولكن كان يبدو بنسبة لقطاعات واسعة من الجنس البشري وطوال عشرات الالوف من السنين ان هذه الفكرة كانت غائبة غياباً كلياً « شتراوس، كلود ليفي، العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٤، بيروت لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٤.

٦- ان القاعدة الاساسية عند من يهتمون من المستشرقين، بتحديد خصائص الحضارة العربية الاسلامية، هي التوصل وعن طريق المقارنة مثلاً بين هذه الحضارة، او الحضارة اليونانية او الرومانية، الى محاولة استنباط مجموعة من الخصائص الثابتة، والتي عن طريقها يفسر المستشرق، ليس اختلاف العرب كجنس له طبائع مختلفة عن غيرهم، بل وهذا هو المهم والاطر جعل تلك الخصائص والطبائع حاکمة على تفسير طبيعة الادوار « التاريخية » التي لعبها العرب على مسرح الاحداث، وهذا التوجه في دراسة الحضارات والامم من خلال اكتشاف

في المانيا والحركات التي شاعت في اوساط البيض مثل حركة كوكلوس كلان في الولايات المتحدة، وابعاء النظام العنصري في جنوب افريقيا قبل انهيار نظام الابري تاييد في مطلع التسعينيات بعد نضال طويل قام به الافريقيون بزعامة نيلسون مانديلا.. غدنز، انتوني، علم الاجتماع، مصدر سابق، ص ٣١١-٣٦٢.

٩- يمكن تلخيص موقف ارنست رينان من الاسلام ومن الجنس العربي عموماً، والذي من خلاله تتكشف نظريته العنصرية والعرقية بما يلي:

١- ما يسمى بالعلم عند العرب ليس فيه من العروبة الا الاسم، وقد حدث للعربية ما حدث للغة اللاتينية، فكون الكتب العلمية في العصور الوسطى الاوربية وعصر النهضة وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر قد كتب باللاتينية، لا يعني ابداً ان لروما أي اسهام فيها، كذلك كون الكتب العلمية التي كتبها ابن سينا وابن زهر وابن رشد ... وغيرهم قد كتبت الى العربية لا يعني ان فيها شيئاً انتجه الجنس العربي.

٢- الاسلام اضهد دائماً العلم والفلسفة، لكنه يميز بين فترتين من هذا الاضطهاد الاولي تمتد من البداية حتى القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري-والثانية تمتد من القرن الثالث عشر الميلادي-القرن السابع الهجري.

٣- الاحرار الذين يدافعون عن الاسلام لا يعرفون الاسلام، ان الاسلام هو التوحيد غير المميز بينما ما هو روحي وما هو دنيوي، انه سيطرة عقيدة، هو اثقل قيلاً حملته الانسانية... للاستزادة ينظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، الدار العلمية للطباعة، دت، ص ٣١٤-٣١٥.

١٠- رينان، ارنست، الاسلامية والعلم، ضمن

من تاريخ الالحاد في الاسلام، تأليف وترجمة عبد الرحمن بدوي، دار سيناء، ط١، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٣٢.

٧- ان الشعوب الارية بنظر ارنست رينان» هي التي خلقت كل شي اخر، الحياة السياسية بالمعنى الصحيح والفن والادب، ان الشعوب السامية ليس لديها شي من ذلك خلا بعض الشعر، وخاصة العلم والفلسفة في هذه الحالة، نحن -من وجهة نظره عالية على الاغريق كلية، وحتى ما يدعى بالعلوم العربية فقد كان تكملة للعلوم الاغريقية، لم يقم بها العرب بل الفرس واليونانيون الذين اعتنقوا الاسلام، وهذا يعني ان الذين قاموا بها هم من الشعوب الارية، والديانة المسيحية بشكلها المتطور، هي كذلك من صنع الاوربيين وبالتالي فأن مستقبل البشرية تحتضنه ايدي الشعوب الاوربية...» حوراني، البرت، الاسلام في الفكر الاوربي، الاهلية للنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، لبنان- ١٩٩٤، ص ٦٦.

٨- يعدّ الكونت جوزيف ارثر دو غوبينو «١٨١٦-١٨٨٢» كما يقول انتوني غدنز «عميد المدرسة العرقية العنصرية، وقد طرح نظريته التي قسم فيها الشعوب الى ثلاثة اعراق: الابيض -القوقازي-، الاسود -الزنجي-، والاصفر -المنغولي- وكان هذا الدارس يرى ان لدى العرق الابيض صفات متفوقة من حيث الذكاء والسمو الاخلاقي والارادة، وهذه الصفات الارية هي التي ادت الى بسط المجتمعات الغربية سيطرتها على العالم، اما السود فهم يحتلون في المقابل مرتبة دنيا في قدراتهم، ويقتربون من المرتبة الحيوانية ففي افتقراهم الى القيم الاخلاقية والاكتفاء العاطفي، وقد ترددت اصداء هذه الاراء في نزعات عنصرية وعرقية لاحقة مثل حركة اودلوف هتلر النازية

- كتاب: قواعد التنوير من اجل توسيع دائرة العمل الاسلامي للدين المخالف -نصوص ومواقف-، دار الطليعة، ط١، بيروت، لبنان-٢٠٠٩، ص٤٨.
- ١١- المرجع نفسه، ص٥٠.
- ١٢- برنارد لويس ولد لأبوين يهوديين من الطبقة الوسطى في سينوك انيونغتون في لندن عام ١٩١٦، تخرج عام ١٩٣٦ من كلية الدراسات الشرقية التي تعرف اليوم بأسم كلية الدراسات الشرقية والافريقية، وفي الحرب العالمية الثانية خدم لويس في الجيش البريطاني في الدروع الملكية والاستخبارات العسكرية ما بين ١٩٤٠-١٩٤١، وفي عام ١٩٧٤ وقد بلغ لويس ٥٧ عاما قبل استاذا في جامعة برنستون، واكتسب الجنسية الامريكية عام ١٩٨٢، في عام ١٩٩٠ اختارت المنح الوطنية للإنسانيات لويس لمنحة محاضرة جيفرسون، كأعلى تكريم من حكومة الولايات المتحدة الاتحادية للإنجازات في حقل الانسانيات، خلال ٧٢ سنة من عمره الأكاديمي اصدر برنارد لويس ٣٤ كتابا غطت موضوعات متنوعة عديدة تتعلق بالعالم الاسلامي في مختلف مراحل التطورية، وجانبا مهما من تاريخ العثمانيين والاتراك ووضع الاقليات الدينية في ظل المجتمع الاسلامي، وعلاقة الاسلام بالغرب، والاسلام والسياسة وتاريخ العرب والشرق الاوسطو من اهم مؤلفاته: «اكتشاف مسلمين اوربا» ١٩٨٢، «العرب في التاريخ» ١٩٥٠، «الشرق الاوسط في الغرب» ١٩٦٤، « الشرق الاوسط» ١٩٩٢، «ما الخطأ الذي حدث»، «أزمة الاسلام الإسلام الديانة والبشر» ٢٠٠٩... للاستزادة ينظر: لويس، برنارد، أزمة الاسلام «الحرب الاقدس والارهاب المدنس»، ترجمة حازم مالك حسن، صفحات للدراسات والنشر، دمشق-٢٠١٣، ص١٧٨.
- ص١٤-١٧ مقدمة المترجم.
- ١٣- لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب نبيه امين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان-١٩٥٤، ص٧٦.
- ١٤- لويس، العرب في التاريخ، مرجع سابق، ص٧٥.
- ١٥- جعيط، هشام، الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة: خليل احمد خليل، دار الطليعة، ط٧، بيروت- لبنان، ٢٠١٢م، ص٤٨.
- ١٦- المرجع نفسه، ص٥٨.
- ١٧- خليل، خليل احمد، التراث العربي من السراب الى ناطحات السحاب « تاريخ سوسيولوجي مختصر للحضارة العربية»، المركز الثقافي العربي، ط٤، بيروت، لبنان-٢٠٠٩، ص٦٠.
- ١٨- جعيط، هشام، الفتنة «جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر»، مرجع سابق، ص٥٤.
- ١٩- المرجع نفسه، ص٥١.
- ٢٠- لويس، أزمة الاسلام «الحرب الأقدس والارهاب المدنس»، ص٤٩.
- ٢١- غلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب وتعليق خيرى حماد، سلسلة من الشرق والغرب، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٢٦.
- ٢٢- غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص٦٤.
- ٢٣- المرجع نفسه، ص١٩٢.
- ٢٤- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠١، ص٥٩.
- ٢٥- المرجع نفسه، ص٦٩.
- ٢٦- المرجع نفسه، ص٦٩.
- ٢٧- المرجع نفسه، ص٧٣.
- ٢٨- المرجع نفسه، ص٨٧.

النتائج الواسعة التي انتهت اليها». ياسين، عبد الجواد، الدين والتدين «التشريع والنص والاجماع»، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان- ٢٠١٢، ص ٣٦٠-٣٦١.

٢٩- المرجع نفسه ، ص ١٣٥.

٣٠- المرجع نفسه، ص ١٢٥.

٣١- لومبار، موريس، الاسلام في مجده الاول « من القرن الثاني الى القرن الخامس الهجري»، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، دار الجيل، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ص ١٤.

٣٢- ستودارد، لوثرروب، حاضر العالم الاسلامي، نقله الى العربية عجاج انويهض، تقديم وتعليق شكيب ارسلان، مكتبة ومطبعة عيسى الباي الحلبي وشركائه، مصر، القاهرة، ١٣٥٢ هـ ، المقدمة.

٣٣- هنالك من الباحثين العرب المعاصرين من نجد في كتاباتهم تأثيراً واضحاً لمثل هذه التفسيرات الاستشراقية لمسألة الفتوحات الاسلامية، حتى وان هم لم يعلنوا مرجعيات وروافد وطبيعة النصوص الاستشراقية التي تطابقوا من مضامينها التفسيرية، فالباحث المصري عبد الجواد= ياسين يحاول ان يعيد انتاج نفس اطروحات الاتجاه العرقي/ القومي او الاتجاه الديني/ السياسي في تفسيره لفتوحات الاسلامية حيث يقول «كان المحرك لهذه الفتوحات في ظل ظروف سياسية اقليمية مؤاتية، هو منطق التوسع او غريزة التمدد التي تملها القوانين الطبيعية للدولة ككائن طبيعي تحركه قوانينه الذاتية، بما في ذلك قانون فائض القوة الذي يستطيع عادة تقديم غطاء تبريري للحرب، تخضع الدولة بما هي كذلك لقوتها الذاتية، مهما كانت موضوعية سواء كانت دينية او غير دينية» ويقول كذلك « في واقع الامر كانت حركة الفتوحات الخارجية امتداداً ظرفياً لسلسلة الحروب الداخلية المعروفة بحروب الردة، اي اندفاعاً نحو القصور الذاتي لمشروع الدولة الناشئة بعد انتصاراتها المتتالية في الجزيرة، وهي لم تصدر عن مخطط استشراقي حي يستهدف

## ثبت المصادر والمراجع

- ١- اركسن، توماس هايلاند، العرقية والقومية“ وجهات نظر اثنولوجية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت-٢٠١٢، العدد ٣٩٣ .
- ٢- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، الدار العلمية للطباعة، د.ت .
- ٣- بدوي، من تاريخ الاحاد في الاسلام، تأليف وترجمة عبد الرحمن بدوي، دار سيناء، ط١، القاهرة، ١٩٤٥ .
- ٤- جعيط، هشام، الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة: خليل احمد خليل، دار الطليعة، ط٧، بيروت- لبنان، ٢٠١٢ م .
- ٥- حوراني، البرت، الاسلام في الفكر الاوربي، الاهلية للنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، لبنان- ١٩٩٤ .
- ٦- خليل، خليل احمد، التراث العربي من السراب الى ناطحات السحاب ” تاريخ سوسولوجي مختصر للحضارة العربية“، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان- ٢٠٠٩ .
- ٧- رينان، ارنست، الاسلامية والعلم، ضمن كتاب: قواعد التنوير من اجل توسيع دائرة العمل الاسلامي للدين المخالف -نصوص ومواقف-، دار الطليعة، ط١، بيروت، لبنان- ٢٠٠٩ .
- ٨- ستودارد، لوثر، حاضر العالم الاسلامي، نقله الى العربية عجاج انويهض، تقديم وتعليق شكيب ارسلان، مكتبة ومطبعة عيسى الباي الحلبي وشركائه، مصر، القاهرة، ٥١٣٥٢ .
- ٩- شتراوس، كلود ليفي، العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٤، بيروت لبنان، ٢٠٠٨ .
- ١٠- غدنز، انتوني، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ .
- ١١- غلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، سلسلة من الشرق والغرب، بيروت، لبنان، د.ت .
- ١٢- غودي، جاك، الشرق في الغرب، ترجمة محمد الخولي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، لبنان- ٢٠٠٨ .
- ١٣- كوثراني، وجيه، هويات فائضة مواطنة منقوصة، دار الطليعة ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
- ١٤- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زيتر، دار العالم العربي، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠١ .
- ١٥- لومبار، موريس، الاسلام في مجده الاول ” من القرن الثاني الى القرن الخامس الهجري“، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، دار الجيل، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت .
- ١٦- لويس، برنارد، ازمة الاسلام ”الحرب الاقدس والارهاب المدنس“، ترجمة حازم مالك حسن، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- ٢٠١٣ .
- ١٧- لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تعريب نبيه امين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان- ١٩٥٤ .
- ١٨- ياسين، عبد الجواد، الدين والتدين ”التشريع والنص والاجماع“، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان- ٢٠١٢ .